كتاب مراتب النحويين لأبي الطيّب اللغوي
دراسة في الأسلوب والمنهج

م.م. حسين ثائر عبد الحميد السوداني
الجامعة المستنصرية – كلية التربية الأساسية

The Book 'Ranks of grammarians' for Abu Al-Tayyib Al-Lughawi: A study in style and method

Asst lect. Hussein Their Abdulhameed Alsodany
Al-Mustansiriya University -College of Basic Education

ملخص البحث

يعدّ كتاب مراتب النحويين لأبي الطيّب اللغوي (ت٣٥١هـ) من أهم الكتب التي خُطَّت في ذكر منازل علماء أهل البصرة والكوفة ومراتبهم من العلم والرواية، وأصبح هذا الكتاب في متناول أيدي الباحثين يستقون منه أخبار العرب واستند إليه أبرز أصحاب الطبقات والمؤلفين ممّن أتى بعده. وانطلاقا من أهمية هذا الكتاب وثقله بين تراث العرب انزرعت في نفس الباحث رغبةٌ في تسليط الضوء عليه ومعرفة خباياه، وكذلك تسليط الضوء على مؤلف الكتاب وشخصيته وأسلوبه في نقل أخباره.

الكلمات المفتاحية: (ابو الطيّب اللغوي، النحو، مراتب النحويين، القياس والسماع)

Abstract

'Ranks of grammarians' for Abu Al-Tayyib Al-Lughawi (d. 351 AH) is one of the most important books that were written in mentioning the positions of the scholars of Basra and Kufa and their ranks of knowledge and narration. Proceeding from the importance of this book and its weight among the heritage of the Arabs, a desire was implanted in the researcher's mind to shed light on it and know its secrets, as well as to shed light on the author of the book, his personality and his method of conveying his news.

Keywords: Abu Al-Tayyib Al-Lughawi - Grammar -The ranks of grammarians - Measurement and Hearing

توطئة:

إن من دواعي الفخر بتراث العرب أن فيه علماء أفذاذا صانوا اللغة العربية وحفظوا هيبتها بين لغات الأمم، مثلما حفظوا القرآن الكريم والسنة النبوية بصيانتهم للغة العربية وتقعيد قواعدها منذ القرن الأول الهجري وإلى يومنا هذا، وكان لابد لمن يعترّف لهم بهذا الفضل أن يحفظ لهم هذا الجميل بذكر أسمائهم في بطون الكتب والإشادة بعملهم الدؤوب وكشف الغبار عنهم، فكان أبو الطيّب اللغوي في مقدمة هؤلاء العلماء وكتابه مراتب النحويين الذي ذكر فيه علماء البصرة والكوفة ومنازلهم من العلم والرواية.

وأصبح هذا الكتاب في متناول أيدي الباحثين يستقون منه أخبار العرب وعلمائهم واستند إليه أبرز أصحاب الطبقات والمؤلفين ممّن أتى بعده، وانطلاقا من أهمية هذا الكتاب وثقله بين تراث العرب انزرعت في نفس الباحث رغبةٌ في تسليط الضوء عليه ومعرفة خباياه، وكذلك تسليط الضوء على مؤلف الكتاب وشخصيته وأسلوبه في نقل أخباره، لذا جاءت مضامين البحث و فقراته على النحو الآتي:

١- مقدمة مراتب النحويين ومضمونها.

٢- أبو الطيّب اللغوي وأهم مفاصل حياته.

٣- كتاب مراتب النحويين ومنهجه في التأليف وطريقة ترتيب العلماء.

٤- الباعث على تأليف الكتاب.

٥- موقفه من القياس والسماع بعد نبذة مختصرة عنهما في البصرة والكوفة.

٦- تعصبه على الكوفيين وعلمائهم، ونوضح من خلاله بشيء من التفصيل تبرمه من مذهب الكوفة وحقده

عليهم ممّا يشكّل ذلك -في بعض الأحيان -خرقا للمنهج العلمي ويجر إلى التعصب العلمي.

٧- موقفه من المنهج البغدادي وتحدثنا فيها عن انتقال العلم إلى بغداد وموقف أبي الطيّب من هذا العلم.

أولا: مقدمة الكتاب: يفتتح العلماء عادةً مؤلفاتهم ومصنفاتهم بديباجة يوضحون فيها أبرز معالم كتابهم وموضوعاته ومنهجه في التأليف وسببه... وغيرها من الأمور، وكتاب مراتب النحويين افتتحه المؤلف بالبسملة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم اتخذ أسلوبا وكأنه يخاطب شخصا معيّنا، وهذا الأسلوب دأب عليه كثير من علماء العرب، يوجهون من خلاله الدعاء للقارئ مثل: (أمتعني الله ببقائك، ووفقك في دينك ورأيك...) وما إلى ذلك.

ثم يشرع بعد ذلك بالحديث عن سبب تأليف الكتاب وهو ما سنتحدث عنه في مفاصل البحث، وأهم أسباب التأليف هو الخلط في ذكر العلماء ومنازلهم وكتبهم وأسمائهم فأراد من خلال هذا الكتاب درء اللبس والاختلاط عن القارئ أو الباحث في شؤون علماء أمته ويذكر بعض الروايات التي يستند إليها لإيصال فكرة وهي أن الناس كانت تخلط بين علمائها ومن أمثلة ذلك قوله: «ولقد بلغني عن بعض من يختّص بهذا العلم ويرويه، ويزعم أنه يتقنه ويدريه أنه أسند شيئا فقال (عن الفراء عن المازني) فظن أن الفراء الذي كان هو بإزاء الأخفش كان يروي عن المازني!»[١]. فلهذا السبب ألّف كتابه وأنهى مقدمته قائلا: «فرسمت في هذا الكتاب ما يفتح القفلة، ولا يسع العقلاء الجهل به»[٢]. ولم يوضح لنا

منهجه الذي اختطه لكتابه وإنما وضح لنا محقق الكتاب الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم هذا المنهج في مقدمة الطبعة الأولى للكتاب[٣]، وسنحاول الوقوف تباعا على أبرز مضامين الكتاب ومحتوياته.

ثانيًا: أبو الطيّب اللغوي.

هو عبد الواحد بن علي، أبو الطيّب العسكري اللغوي الإمام الأوحد من عسكر مكرم أحد الحذاق العلماء المبرزين المتقنين لعلم اللغة العربية، أخذ عن أبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد[٤]، ومحمد بن يحيى الصولي[٥]، قدِم حلب وأقام بها عندما كانت من أزهر الحواضر الإسلامية في القرن الرابع الهجري وأحفلها بالعلماء والشعراء والأدباء، وكان أميرها سيف الدولة من أعظم ملوك العرب شأنا وأعلاهم في العلوم والآداب كعبا وأوسعهم في المكرمات باعا، فاجتذب إلى حلب أعيان الأدب واللغة والشعر، كالمتنبي والوأواء والنامي والرفاء وابن خالويه والفارابي وكشاجم، فكان منهم أبو الطيّب اللغوي، وهناك ازدهر علمه وبان فضله وفيها أيضا قامت الخصومة بينه وبين ابن خالويه وذكت المنافسة بينهما ولكن أبا الطيّب كان صاحب السبق والتقدّم[٦].

قال ابن القارح في رسالته لأبي العلاء المعري: «حدثني أبو علي الصقلي بدمشق قال: كنت في مجلس ابن خالويه إذ وردت عليه من سيف الدولة مسائل تتعلّق باللغة فاضطرب لها ودخل خزانته وأخرج كتب اللغة وفرقها على أصحابه يفتشونها ليجيب عنها وتركته وذهبت إلى أبي الطيّب اللغوي وهو جالس وقد وردت عليه تلك المسائل بعينّها وبيده قلم الحمرة فأجاب به ولم يغيره قدرة على الجواب»[٧].

وقال أبو الطيّب: «قرأت على أبي عمر -يقصد أبا عمر الزاهد أستاذه -الفصيح وإصلاح المنطق[٨] حفظا وقال لي أبو عمر كنت أعلق اللغة عن ثعلب على خزف وأجلس على دجلة احفظها وأرمي بها»[٩]

ولم يكن أبو الطيّب عالما باللغة وحسب فقد ذكر أبو العلاء المعري أنه كان يتعاطى شيئا من النظم[١٠]، وله شيء منه في كتاب مراتب النحويين ولكنه نظم ضعيف[١١].

وظلّ أبو الطيّب ملازما لحلب إلى أن كانت ليلة الثلاثاء لثمان بقين من ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة دخل الروم بقيادة الدمستق إلى حلب وأخذ منها خلقا من النساء والأطفال، وقتل معظم الرجال ولم يسلم منه إلا من اعتصم بالقلعة من العلويين والهاشميين والكتاب وأرباب الأموال[١٢]، فكان أبو الطيّب أحد المقتولين مع أبيه في تلك المحنة والتي أودت بمعظم آثاره وأخباره[١٣]، يقول أبو العلاء المعري: «ولا شك أنه قد ضاع كثير من كتبه وتصنيفاته؛ لأن الروم قتلوه هو وأباه في فتح حلب»[١٤]، إلا أن ذلك لم يمنع من وصول عدد من مؤلفاته إلينا وهي مطبوعة وفي متناول اليد وقد ذكرتها المصادر والمراجع المعنية بهذا الشأن على النحو الآتي[١٥]:

١- كتاب شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، وهو كتاب مطبوع حققه وعلّق عليه محمد عبد الجواد وسلك فيه مسلك شيخه أبي عمر الزاهد في كتاب المداخل.

٢- كتاب الفرق، وقد ذكره المعري في رسالة الغفران وقال: «قد أكثر فيه وأسهب»[١٦]، وعنه نقل السيوطي في المزهر[١٧]. ولم أعثر على الكتاب المطبوع.

٣- كتاب الإتباع، وذكره أبو العلاء في رسالته والسيوطي في بغية الوعاة. وهو كتاب مطبوع بتحقيق عز الدين التنوخي عام ١٩٦١م.

٤- كتاب الإبدال، وقد ذكره السيوطي والصفدي في الوافي بالوفيات، وقال أبو العلاء: «قد نحا فيه نحو كتاب يعقوب في القلب»[١٨]. وهو كتاب مطبوع بتحقيق عز الدين التنوخي عام ١٩٦١م.

٥- كتاب الأضداد في كلام العرب، ذكره المرتضى الزبيدي في مقدمة تاج العروس[١٩]. وهو كتاب مطبوع حققه واعتنى به الدكتور عزة حسن عام ١٩٦٣م.

٦- المثنى، ذكره الزركلي في الأعلام وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق حققه عز الدين التنوخي وذكره في مقاله قائلا: «وممّا أغفلوه من مصنفاته كتاب (المثنى) وهو عندي ولله الحمد، لطيف يشتمل على نوعين: الإتباع والتغليب... ولا أدري: أكتاب الإتباع ممّا ألفه أبو الطيّب مستقلا أم هو ما اشتمل عليه المثنى»[٢٠].

٧- كتاب مراتب النحويين (موضع البحث) حققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم سنة ١٩٥٥م.

ثالثًا: كتاب مراتب النحويين ومنهجه في التأليف.

لا شكّ في أن تراثنا العربي قد شهد ظهور عدد غير قليل من العلماء والمشتغلين بعلوم اللغة والنحو والبلاغة والأصول والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم التي جاءت خدمةً للقرآن الكريم أولا وكذلك بقصد وضع قواعد عامة يمكن أن تحفظ للغة سلامتها، وأن تؤدي ثمرتها. فظهرت لنا العديد من المصنفات التي زخرت بقواعد اللغة وأصولها ومناهجها على يد علماء كُثر قد يصعب على الذاكرة

إحصاؤهم وذكر منازلهم من العلم والدراية وقد تضيع أخبارهم يوما بعد يوم لذا انبرى بعض العلماء ليضعوا لنا مصنفات تضّم أخبار النحويين واللغويين لنكون وقتئذٍ على علم بالتراث العربي من جهة وبأصحابه من جهة أخرى، فهناك مصادر عربية وغير عربية عدة ترجمت للنحويين واللغويين وحدهم أو مع غيرهم من المشتغلين بالعلوم الأخرى، وتضّم هذه الكتب أخبار العلماء مع ذكر مكوناتهم الثقافية ومؤلفاتهم في علوم اللغة، فهي تعدّ مدخلا طبيعيا للتعرّف على الحياة الثقافية والعلمية للمساهمين في التراث اللغوي العربي[٢١]، وترجع أقدم كتب تراجم النحويين وطبقاتهم -التي وصلت إلينا - إلى القرن الرابع الهجري[٢٢]. وكان من بين هذه المصنفات وأولها كتاب مراتب النحويين أو النحاة[٢٣]، لأبي الطيّب اللغوي ٣٥١هـ؛ إذ يعدّ أقدم كتاب وصل إلينا في الترجمة للنحويين[٢٤]، وله أهميته أيضا؛ لأن المؤلف لغوي عرّف الكثيرين ممّن ترجم لهم من المشتغلين بعلوم اللغة حتى ذلك الوقت فهو من المصادر الأصيلة، نقل عنه من أتى بعده أمثال ياقوت الحموي والقفطي والصفدي والسيوطي وغيرهم[٢٥]، لذلك عدّ هذا الكتاب المحاولة الأولى الجادة في بحث أحوال نقلة اللغة جرحا وتعديلا وإن كان في ظاهره يبدو تعريفا بأئمة اللغة وروادها[٢٦]. لذلك يذكر الفيروز آبادي أن أبا الطيّب ألف كتاب مراتب النحويين وميّز فيه أهل الصدق من أهل الكذب والوضع[٢٧].

وإذا انتقلنا إلى تسمية الكتاب نجدّ أن المصنف اختار له اسم المراتب وكان له التفرّد في هذا الاختيار فأقام كتابه على ذكر مراتب العلماء ومنازلهم من العلم، وحظهم في الرواية وقام

بعقد الصلة بين الشيوخ وتلاميذهم منذ ظهور اللحن ووضع النحو، ثم ظهور مدرستي البصرة والكوفة إلى أن انتهى العلم فيهما ثم انتقل إلى بغداد ومكة والمدينة، فهو يذكر أبا الأسود الدؤلي وتلاميذه، وأبا عمرو بن العلاء والخليل بن احمد ومن أخذ عنهما وسبيله فيما أورد السند والرواية[٢٨].

ويبدو أن أبا الطيّب قد استقى فكرة الترجمة والطبقات والمراتب من رافدين مهمين، هما:

١- قد يكون أحد المتأثرين بالفرس والرومان والسريان الذين كتبوا في تاريخ ملوكهم وأمرائهم وممالكهم[٢٩]، وهذا ليس بالأمر الجديد فهناك من الباحثين العرب من ذهب إلى أن وضع النحو العربي والحركات الإعرابية جاء نتيجة تأثر العرب بالسريان[٣٠]، وذهب أحمد أمين إلى أن النحو العربي تأثر بشكل ضئيل بالسريان واليونان في العصر الأول منه أما عندما نقلت الفلسفة اليونانية إلى العرب تأثر النحو بها في قواعده وعلله[٣١]، فلا يستبعد أن يكون أبو الطيّب متأثرا بكتابات الأجانب وعلومهم.

٢- إن العلوم العربية هي علوم خالصة نشأت في أرض العرب وهو رأي أكثر رجاحة ووجاهة، وهذه العلوم تدرجت ونضجت حتى كملت أبوابها، وما يعنينا في هذا الجانب أن أبا الطيّب قد تأثر بمن سبقوه واستوحى منهم فكرة التراجم فأخذ فكرة الطبقات من الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (٢٣٠هـ)، وطبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي (٢٣١هـ)، فهذان الكتابان يعدان أول كتابين كبيرين أُلِّفا في الطبقات عند العرب، إذ تناول ابن سعد في كتابه سيرة مطولة للرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم ترجم للصحابة

ووضعهم في طبقة والتابعين في طبقة وتابعي التابعين في طبقة، أما محمد بن سلام فقد قسم كتابه إلى طبقات وجعل شعراء الجاهلية والإسلام كل في طبقته على أساس كثرة الشعر وجودته وتنوّع الأغراض فيه.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك كتبا في الطبقات ألفت قبل هذين الكتابين فهذا واصل بن عطاء (١٣١هـ) ألف كتابا أسماه (طبقات أهل العلم والجهل)[٣٢]، ثم تبعه في ذلك محمد بن عمر الواقدي (٢٠٧هـ) وألف كتاب (الطبقات)[٣٣]، وكذلك ألف معاصر الواقدي أبو عبد الرحمن الهيثم الثعلبي (٢٠٧هـ) كتابين سمّى الأول طبقات الفقهاء والمحدثين والآخر كتاب طبقات من روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصحابة[٣٤].

وهذه الكتب وإن كان لها الأثر الكبير في تراثنا العربي والإسلامي إلا أنها لم تبلغ من الشهرة ما بلغ كتابا ابن سعد وابن سلام الذين فتحا الطريق أمام المؤلفين والمشتغلين بكتب الطبقات، فشاعت بعدهما كتبٌ جمة بلغت ما يزيد عن ستة وستين كتابا فوضعوا طبقات للأطباء والحكماء والمفسرين والمحدِّثين والقراء والوعاظ ولم يقف الأمر عند ذلك بل وضعوا مصنفات في أخبار الحمقى والمغفلين والمدلسين.

والمتتبّع لكتاب مراتب النحويين يجده يقترب في منهجيته وتأليفه من كتابي ابن سعد وابن سلام فقد اعتمد على كتاب الطبقات الكبرى في الترتيب الزماني والمكاني فبدأ بأهل البصرة بوصفهم أصحاب السبق والتقدّم في علوم العربية، ثم انتقل إلى ذكر علماء الكوفة ثم بغداد ومكة والمدينة مع وجود بعض المآخذ عليه في مخالفته لعنصري الزمان والمكان في

بعض المواضع التي سنقف عندها في ثنايا البحث.

أما تأثره بابن سلام وطبقاته فإننا نلمسه في موضعين مهمين، أحدهما: إنه استعمل مصطلح الطبقة وأراد به (الجودة والمنزلة) ويتضّح ذلك عبر حديثه عن الجهال قائلا: «فالواحد من هؤلاء في طبقة من الجهل لا تدرك بالقياس»[٣٥]، وقال أيضا في حديثه عن حماد الراوية: «وفي طبقته من الكوفيين أبو البلاد وهو من أرواهم وأعلمهم»[٣٦].

أما الموضع الآخر الذي أخذه عن ابن سلام هو تأثره بذكر المشاهير فقط من أعلام النحو واللغة؛ ووضع معيار لشهرة العالم عنده يتأتى من خلال مصنفاته والرواية عنه[٣٧]، وهذا يوافق الجمحي في وضع الطبقات عندما فصل الجاهليين والمسلمين والمخضرمين من الشعراء وقال: «فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا فألفنا في تشابه شعره منه إلى نظرائه فوجدناهم عشر طبقات أربعة رهط كل طبقة متكافئين معتدلين»[٣٨]، ولم يذكر الشعراء المشهورين جميعهم بل اكتفى بذكر عدد منهم فقط.

وسبيل أبي الطيّب في نقل أخبار النحاة واللغويين الرواية الشفوية والنقل عن الأئمة ولاسيما استاذيه محمد بن يحيى الصولي وأبو عمر الزاهد فضلا عن غيرهم أمثال ابن باسويه جعفر بن محمد[٣٩]، فهو يكثر من الرواية عن هؤلاء الثلاثة.

إن ما تقدّم هو المنهج العام الذي اتخذه صاحب الكتاب في التأليف، ولكنه خالف هذا المنهج في مواضع شتى نجملها على النحو الآتي:

١ – مخالفته مبدأ الشهرة والرواية؛ إذ إنه في بادئ الأمر حاول أن يبدأ بالبصريين بوصفهم أشهر من الكوفيين علما

وروايةً، وافتتح ترجمته بذكر أبي الأسود الدؤلي وأبي عمرو بن العلاء ومن تتلّمذ على يديهما بحسب الشهرة والرواية والمصنفات، وعلى سبيل المثال لا الحصر فهو يترجم لعمر الراوية ويقول عنه إنه لم يؤلف شيئا ولم يأخذ عنه من شهر ذكره، فلو كان يستند في كتابه إلى ذكر المراتب من العلماء وشهرتهم فمن باب أولى أن يذكر أبا جعفر الرؤاسي والكسائي وغيرهما ولم يؤخرهما[٤٠].

ولاسيما أن الرؤاسي تتلّمذ على يد أبي عمرو بن العلاء وهو من جهة معياري الشهرة والرواية أفضل من عمر الراوية الذي لم أعثر على ذكر له في كتب علوم اللغة والتراجم وعلوم الحديث إلا في موضعين، أحدهما: كتاب مراتب النحويين وهو موضع بحثنا، والآخر: في المزهر للسيوطي (٩١١هـ) الذي نقل عن مراتب النحويين نفسه[٤١].

٢- مخالفته مبدأي الزمان والمكان: فقد يعترض أحد القراء بقوله: إنه أراد بمنهجه ذكر البصريين بوصفهم أسبق زمانا ومكانا فأخّر الرؤاسي والكسائي من الكوفيين. والحق أنه بهذا المنهج أيضا ناقض نفسه إذ ذكر أبا جعفر الرؤاسي مع طبقة البصريين مع أنه عندما يترجم له يقول: «عالم أهل الكوفة»[٤٢]، ثم يترجم لعاصم القارئ ومحمد بن محيصن ويعود فيذكر يحيى بن يعمر أحد أبرز علماء أهل البصرة[٤٣]، وهذا الاضطراب المكاني غير قليل في كتابه؛ إذ نجده بعد عدة صفحات يضع عنوانا (علماء الكوفة) مبتدئا بالمفضل الضبي فيقول: «وكان للكوفيين بإزاء من ذكرنا من علماء البصرة المفضل بن محمد الضبي»[٤٤]، وهنا يمكننا تثبيت أمرين، أحدهما: أنه حدّد نقطة بداية لترجمة الكوفيين فلمَ ذكر علماءهم مع البصريين؟ والثاني: أنه حدّد نقطة نهاية لترجمة البصريين فلمَ ذكر بعدها أبا

عمر الجرمي (٢٢٥هـ)، وأبا عثمان محمد المازني (٢٤٨هـ) وأبا حاتم السجستاني (٢٤٨ -٢٥٤هـ) والمبرد (٢٨٥هـ)[٤٥]، ثم يعود ويذكر عنوانا آخر (علماء الكوفة بعد الكسائي)[٤٦].

وقد يقال بأن هذا ليس جهلا من أبي الطيّب اللغوي وإنما أراد التزام التدرّج التأريخي في ترجمته للعلماء. والجواب عن ذلك أنه لم يثبت أولا اعتماده المنهج التأريخي في الترجمة، وإذا سلمنا بهذا الأمر فإننا نثبت عليه خروجه عن هذا المنهج في مواضع عدة، منها أنها ذكر عيسى بن عمر وذكر بعده يونس بن حبيب (١٨٢هـ) وأخّر ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، مع أنه ذكرهما في طبقة عيسى بن عمر ومن أخذ عنه[٤٧]، وكذلك ذكر عاصم القارئ (١٢٧هـ) وأخّر محمد بن محيصن (١٢٣هـ)[٤٨]. وذكر أبا عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) قبل عيسى بن عمر (١٤٩هـ)، وذكر أبا عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠هـ) والأصمعي (٢١٦هـ) قبل سيبويه (١٨٠هـ) فإن كان استناده إلى التاريخ فسيبويه سابقٌ هذين الاثنين، وإن كان استناده إلى الشهرة فهو يقرُّ بأن سيبويه أعلم الناس بعد الخليل، بنصه: «وأخذ النحو عن الخليل جماعة لم يكن فيهم ولا في غيرهم من الناس مثل سيبويه... وهو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل»[٤٩]، هذه الشواهد وغيرها تدلّ على عدم التزامه بمنهج معيّن من جهة الزمان والمكان ومن جهة الشهرة والرواية الذي اختطه لنفسه وأكّد عليه في عدّة مواضع.

فضلا عما تقدّم من خروقات منهجية واضحة فإننا نجده يخالف المنهج العلمي في الترجمة في أمور أخرى، منها:

١- إنه لم يحدّد أحيانا الراوية الذي

يأخذ عنه ويكتفي بقوله: «بلغني عن بعض من يختّص بهذا العلم ويرويه ويزعم أنه يتقنه ويدريه... وحدثت عن آخر إنه روى...»[٥٠].

٢- إنه يبدأ أحيانا بترجمة أحد العلماء بذكر اسمه وكنيته وينتقل إلى ذكر منزلته من العلم، وأحيانا أخرى يذكر الاسم وسنة الوفاة ثم النسب، وبعضهم الآخر تُذكر سنة وفاته في آخر الترجمة، وبعضهم لا تُذكر أصلا وغيرها من الأمور التي تخرق هذا المنهج[٥١]، مثل قطرب وسيبويه وأبي محمد اليزيدي[٥٢].

٣- إنه اختار سببا لتأليف الكتاب وهو التفريق بين أسماء العلماء وكتبهم ولكنه عند الترجمة لم يذكر أسماء الكتب المنسوبة إلى العلماء الذين يترجم لهم إلا بعضهم الذين لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة.

٤- إنه يدخل ترجمة علماء وما يتعلّق بهم بترجمة علماء آخرين كذكر كتاب ألفه عيسى بن عمر مع ترجمة الأخفش الكبير[٥٣]، وترجمة خلف الأحمر مع ترجمة للأصمعي[٥٤].

٥- تقدّم الكلام أن المؤلف ألزم نفسه بذكر المشهورين من علماء النحو واللغة؛ وذلك بقوله: «وما أخللنا بذكر أحد إلا لسبب، إما لأنه ليس بإمام ولا معول عليه، وإما لأنه لم يخرج من تلامذته أحد يحيي ذكره، ولا في تأليفه شيء يلزم الناس نشره، كإمساكنا عن ذكر اليزيديين، وهم بيت علم، وكلهم يرجعون إلى جدهم أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي وهو في طبقة أبي زيد والأصمعي وأبي عبيدة والكسائي، وعلمه عن أبي عمرو وعيسى بن عمر ويونس أبي الطاب الأكبر... إلا أن علمه قليل في أيدي الرواة إلا في أهل بيته وذريته، وهو ثقة أمين مقدم مكين»[٥٥]. وفي

موضع آخر يقول: «فهذا جمهور ما مضى عليه علماء البصرة ومن خلال هؤلاء قوم علماء لم نذكرهم؛ لأنهم لم يشهروا، ولم يؤخذ عنهم، وإنما شهرة العالم بمصنفاته والرواية عنه»[٥٦].

وقد تقدّم الكلام أنه لم يذكر المصنفات أولا، ثم أنه بعد هذا القول ذكر واحدا من العلماء يعرّف بـ(الناشي) مع أنه وضع كتابا في النحو ومات قبل أن يتمه أو يُؤخذ عنه وختم ترجمته بقوله: «لو خرج علم الناشي إلى الناس لما تقدمّه أحد»[٥٧]، وهذا يدلّ على أنه خالف ما ألزم به نفسه بأنه ترجم لأشخاص لم يصلنا علمهم أو شيء من كتبهم وترك آخرين أمثال معاذ الهراء (١٨٧هـ) مع أنه عالم أهل الكوفة وأستاذ الكسائي ووضعه الزبيدي في الطبقة الأولى من الكوفيين[٥٨].

رابعا: الباعث على تأليف الكتاب.

لا شك في أن لكل كتاب غرضا ولكل مؤلف هدفا في تأليف كتابه وغاية يسعى إلى تحقيقها والوصول إليها، وبعض المؤلفين يصرح بهذا الغرض وهذه الغاية، وبعضهم الآخر لا يصرح بذلك وإنما يحدّده القارئ ويقف عند غرض المؤلف من خلال متون الكتاب ونصوصه. وعند تتبع كتاب مراتب النحويين نجد أن أبا الطيّب يصرح بالسبب الباعث على تأليفه، ومن ذلك حديثه عن أهل العصبية والهوى في مقدمة كتابه ناعتهم بالجهل ؛لأن كل قوم منهم يدعون تقدّم من ينتمون إليهم، قائلا: «وهم لا يدرون عمّن روى، ولا من روى عنه، ومن أين أخذ علمه، ولا من أخذ منه، وقد غلب هذا على الجهال، وفشا في الرذّال»[٥٩]. وهذا الكلام وإن كان يتسّم بالحدَّة بعض الشيء إلا أننا يمكن أن نحمله على محمل الظن الحسن ونقول هي ثورة لعلماء اللغة

لكيلا يؤخذ حقهم ويضيع ذكرهم، ولكننا قد بيّنا في صفحات سابقة أن أبا الطيّب لم يلتزم بكل ما قاله في كتابه وأنه مرّ مرور الكرام على أفراد لم يذكر إلا أسماءهم وبعضهم مغمورون ليس لهم ذكر كبير في كتب التراجم ومع ذلك لا يعرِّف القارئ بهذا الشخص معرفة واعية وواضحة.

أما السبب الآخر الذي دعاه إلى التأليف أن كثيرا ممّن يذكرون العلماء بالترجمة والتعريف لا يفرقون بينهم، فهو يقول: «إن كثيرا من أهل دهرنا لا يفرقون بين أبي عبيدة وأبي عبيد، وبين الشيء المنسوب إلى أبي سعيد الأصمعي أو أبي سعيد السكري أو أبي سعيد الضرير. ويحكون المسألة عن الأحمر؛ فلا يدرون أهو الأحمر البصري، أو الأحمر الكوفي... ولقد رأيت نسخة من كتاب (الغريب المصنف) على ترجمته: (تأليف أبي عبيد القاسم بن سلام الجمحي)، وليس أبو عبيد بجمحي ولا عربي؛ وإنما الجمحي محمد بن سلام مؤلف كتاب (طبقات الشعراء) وأبو عبيد في طبقة من أخذ عنه»[٦٠].

إن ما جاء به أبو الطيّب وتحدث به فيه شيء غير قليل من الصحة، ولعله يقصد بذلك محمد بن يزيد المبرد الذي وضع كتابا في طبقات النحويين البصريين وأخبارهم قبل أبي الطيّب وهذا مجرد ضرب من التخمين؛ لأن كتاب المبرد لم يصل إلينا وكلام أبي الطيّب كلام عام لم يحدّد به أحدا من دون غيره، ومهما يكن فإن الأمر طبيعي، وإنّ تشابه الأسماء والألقاب ليس بجديد على الساحة العربية ونسوق مثالا على ذلك، التشابه في اسم امرئ القيس بن حجر الملك الضليل والشاعر الجاهلي المعروف، فقد أحصى الآمدي (٣٧١هـ) عشرة

أشخاص معروفين باسم امرئ القيس وعدّ آخر أحد عشر وأحصى السيوطي ستة عشر وقد انتهى الأمر عند الدكتور حسن السندوبي الذي وضع كتابا أسماه أخبار المراقسة وأشعارهم نسبة إلى امرئ القيس وجمع فيه من بطون الكتب قرابة خمس وعشرين شخصا يحملون الاسم نفسه، وذكر في مقدمة كتابه سبب التأليف وهو ما رآه من اختلاف الرواة في نسبة بعض الأشعار إلى امرئ القيس بن حجر، أو عزوها إلى غيره ممّن شاركه في هذا الاسم أثناء شرحه لديوان امرئ القيس الملك الضليل[٦١]. لذا فإن ما تعرض له أبو الطيّب كثير وشائع في التاريخ العربي سواء أكان ذلك في أسماء العلماء أم في أسماء مؤلفاتهم.

وللسبب السابق نفسه ذكر أبو الطيّب أن من بين الأسباب رواية بعض الرواة حديثا عن علماء لم يلتقوا فيما بينهم وتفصلهم مدة زمنية، ومن ذلك قوله: «وحدثت عن آخر أنه روى مناظرة جرّت بين ابن الأعرابي والأصمعي، وهما ما اجتمعا قط، وابن الأعرابي بإزاء غلمان الأصمعي، وإنما كان يرّد عليه بعده، وحري بمن عمي عن معرفة قوم أن يكون عن علومهم أعمى وأضل سبيلا»[٦٢].

ولعله وقع في الخلط في هذا الموضع؛ إذ ذكر الزبيدي (٣٧٩هـ) في طبقاته عن محمد بن الفضل بن سعيد بن سلْم أنه قال: «حدثني أبي قال: كان ابن الأعرابي يؤدبنا في أيام أبي سعيد سلم، فكان الأصمعي يأتينا مواصلا، فيناظره ابن الأعرابي فيرتجل ذلك وكان أعلم بالإعراب منه، وكان الأصمعي يفتر فيه ويغريه بالشعر...»[٦٣].

ولعل الزبيدي كان أدق في روايته؛ إذ قال ابن الأعرابي نفسه: «شهدت الأصمعي وقد أنشد

نحوا من مائتي بيت ما فيها بيت عرفناه»[٦٤]، ونستنتج أيضا من خلال سنوات وفيات الاثنين، فالأصمعي توفي سنة (٢١٦هـ) وابن الأعرابي سنة (٢٣١هـ) فخمسة عشر عاما لا تمنع من التقاء عالمين عاش أحدهما -وهو الأصمعي -ثلاثا وتسعين سنة وعاش الآخر إحدى وثمانين سنة[٦٥].

وكذلك في ترجمة أبي عبيد القاسم بن سلام، قال أبو الطيّب: «ولعله سمع من أبي زيد شيئا»[٦٦]، وقصد أبا زيد الأنصاري، وردّ عليه السيوطي ذلك قائلا: «قلت: قد صرح في عدة مواطن من الغريب المصنف بسماعه منه»[٦٧].

وما ورد من حديث يمكن أن نعزوه إلى أمور ثلاثة:

١- إنه قد انتابه الخطأ أو النسيان أو الخلط في ذكر بعض العلماء والتعريف بهم.

٢- إنه قد تحدث بما يعرفه ووفقا للمادة العلمية التي يمتلكها ولو عرف غير ذلك لذكره.

٣- إن ابن الأعرابي وأبا عبيد كوفيان، والأصمعي وأبا زيد الأنصاري بصريان، وهو لا يريد أن يعترّف للكوفيين بفضل، وهذا ما نرجحه وسيأتي الكلام عنه.

ومهما يكن من شيء فإن هذا الكتاب -بالإضافة إلى كتاب طبقات النحويين واللغويين للزبيدي -له أثره في كتب الطبقات والتراجم التي تلته والتي اعتمدت عليه اعتمادا كليا ولم يضيفوا عليه شيئا في كتب القدماء والمحدثين. ويمكن القول: إنه قد بلغ الغاية المتوخاة في أن يحاول طرد اللبس في الأخبار عن القارئ والسهو الذي قد يحمل القارئ على باطل يحكيه، فحاول أن يرسم في هذا الكتاب ما تقبح الغفلة عنه، ولا يسع العقلاء جهله، فجمع ما

خشي من تفرقه على القارئ وسعى إلى عدم التقصير عما يقنع به المتلقي ولا يتعدى إلى تطويل لا ينفعه[٦٨].

خامسا: موقفه من السماع والقياس:

يعرّف السماع بأنه: «الأخذ المباشر للمادة اللغوية عن الناطقين لها»[٦٩]، وقد اهتم الدارسون الأوائل بالسماع عن العرب ؛لأنهم تصدوا لجمع المادة اللغوية وتدوينها أمثال أبي عمرو بن العلاء والخليل والكسائي والأصمعي وغيرهم ممّن تمسّك بهذا المنهج[٧٠].

أما القياس فهو تقدير الفرع بحكم الأصل وهو: «من الأسس المنهجية في دراسة اللغة وقد أخذ به اللغويون جميعا، البصريون منهم والكوفيون[٧١]».

فالسماع إذن أصل في استقاء اللغة أخذ به البصريون والكوفيون على حدّ سواء، وكذلك الأمر بالنسبة للقياس إلا أن التفاوت الحاصل بينهما هو أن البصريين أخذوا السماع بناءً على ما رسموه في أطلسهم اللغوي للقبائل العربية وما حددوه في تفاوت نسبتها في الفصاحة، ويتجلّى ذلك في قول أبي زيد الأنصاري: «لست أقول قالت العرب إلا إذا سمعته من هؤلاء: بكر بن هوازن وبني كلاب وبني هلال أو من عالية السافلة أو من سافلة العالية»[٧٢]. فالسماع من هؤلاء دون غيرهم هو الذي يسوغ لأبي زيد الأنصاري قوله قالت العرب[٧٣]، فهم لا يبنون القواعد المطردة إلا على ما كثر واستفاض من كلام العرب[٧٤].

أما الكوفيون فقد كانوا أكثر توسّعا في أخذ شواهد اللغة من كل مسموع وبنوا عليه وقاسوا وجعلوا بعضا من الشاذ جائزا وقعدوا القواعد وقاسوا على البيت الواحد وتعدوا ذلك إلى القياس على ما خالف الأصول[٧٥].

لذلك فإن الكوفيين لم يهملوا القياس المطرد والقواعد المقننة إلا أنهم أولوا اهتماما كبيرا للسماع ووسعوا من دائرته فأخذوا بشكل غير محدود من الإعراب وتوسعوا في أخذ القراءات وصار في نظرهم كل ما ثبت عن العرب وتكلموا به مقبولا وصحيحا ولو كان شاذا[٧٦].

ومن هنا انقسم العلماء من العرب على فريقين اثنين وذكت الخصومة بينهما فصار البصري لا يأخذ الرأي الكوفي ولا يرتضيه لنفسه؛ لأنه مخالف للأسس والقواعد التي اختطها البصريون وبالمقابل أصبح الكوفي يضجر من القياس البصري أو ما يطلق عليه القياس الفقهي القائم على الاصطناع المتكلف ورصد العلل لما فيه من تعقيد وعدم المرونة[٧٧].

وكان من بين هؤلاء المعارضين للمذهب الكوفي في مسألة السماع أبو الطيّب اللغوي فهو وإن لم يصرح بمذهبه أو ميوله إلا أن كلامه يبرهن مدى رفضه لمبدأ السماع عند الكوفيين. ففي ترجمته للأصمعي تحدث عن خلف الأحمر مولى الأشعريين وذكر أنه وضع على شعراء عبد قيس شعرا موضوعا كثيرا وكذلك وضع على غيرهم عبثا به وذكر أن أهل الكوفة قرأوا أشعارهم عليه وكانوا يقصدونه لما مات حماد الراوية؛ لأن خلفا كان قد أكثر الأخذ عنه ولما تعبّد خلف الأحمر ونسك ذهب إلى الكوفة وعرّفهم بالأشعار التي أدخلها في أشعار الناس وبقي رغم ذلك مبثوثا في دواوينهم إلى الآن[٧٨]، وبهذا القول يبيّن للقارئ أن الكوفيين لم يتوثقوا من صحة ما يأتيهم من أشعار، وكذلك يطعن في قواعدهم بوصفها مبنية على شعر موضوع ولم يصححوا هذه القواعد حتى بعد علمهم بصنيع خلف الأحمر.

فهذه الرواية وإن كانت صحيحة ومبثوثة في بطون الكتب إلا أن هذا لا يعني هناك خطأ في قواعد الكوفيين أو خلّلا في مسألة السماع وعدم التثبّت، فخلف الأحمر سمع عنه البصريون أيضا وأثنوا عليه وفي مقدمتهم الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي قال فيه: «اجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر وأصدقه لسانا كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبرا أو أنشدنا شعرا أن لا نسمعه من صاحبه»[٧٩]. فقوله (اجتمع أصحابنا) يدلّ على وجود توافق من قبل البصريين على السماع من خلف الأحمر فضلا عن تزكيته بوصفه صادقا فيما ينقله. وليس هذا فحسب فقد كان الأصمعي -المعروف بتعصبه في الأخذ عن العرب -«يسلك طريقه ويحذو حذوه حتى قيل هو معلم الأصمعي وهو والأصمعي فتّقا المعاني وأوضحا المذاهب وبيّنا المعاني ولم يكن فيه ما يعاب به إلا أنه كان يعمل القصيدة يسلك فيها ألفاظ العرب القدماء»[٨٠].

علاوة على ما تقدّم في هذا النص من إن سلوك الأصمعي مسلك الأحمر يعدّ تزكية مباشرة له فقد كان الأحمر في وضع الشعر على غيره يتخذّ ألفاظ العرب القدماء ومن ثم فهي ألفاظ فصيحة وقواعد نحوية سليمة صادرة عن رجل بصري وعالم في النحو واللغة، لذا يمكن الاعتداد بها واعتمادها من قبل الكوفيين في تقعيد قواعدهم.

ومن بين مواقفه أيضا في السماع يذكر أن أهل الكوفة كانوا يسمعون من جماعة من رواة الشعر مثل حماد الراوية وغيره وكانوا يصنعون الشعر ويقتفون المطبوع منه[٨١]، وكلامه هذا يبين من خلاله ميوله إلى منهج البصريين في السماع عن الراوي والتحقّق منه ومن

المسموع والبحث في سلسلة الرواة إذا لم يسمعوا مباشرة عن العرب، ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ بل من خلال ما تقدّم يتبيّن أنه تفوّق في تشدّده في السماع على البصريين أنفسهم.

فهو في معرض حديثه عن حماد الراوية يذكر أن أهل المصرين -البصرة والكوفة -قد أخذوا عنه كما يذكر عن لسان الأصمعي أن شعر امرئ القيس كله قد أخذ عن حماد وعندما نذكر الأصمعي نريد مذهبه البصري المتشدّد الذي دعاه إلى عدم الأخذ بشعر بشار بن البرد (١٦٨هـ)؛ لأنه متأخر، فقال: «بشار خاتمة الشعراء، والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم»[٨٢]، مع أن أيام بشار هي ضمن دائرة الاحتجاج اللغوي فرفض الأصمعي بشارا وأخذه عن حماد دليل على قبول حماد كما يدلّ على تعصب أبي الطيّب اللغوي بمسألة السماع وهذا التعصب نفسي لا علمي وقد لوحظ في أكثر مفاصل الكتاب[٨٣].

سادسا: تعصبه على الكوفيين وعلمائهم.

تقدّم الكلام في أن هناك خلافا واضحا بين مذهبي البصرة والكوفة وهذا الخلاف نابع من منهج السماع والقياس وطريقة تقعيد القواعد واستنباط العلل واستقراء اللغة وأخذها عن الناطقين بها وغيرها من الأمور، ونتج عنه خلاف بين أئمة النحو واللغة وصار لكل منهم مذهبه الذي يعتقد به ولا يرتضي غيره بل ويتعصب على المذهب الآخر، ومن بين هؤلاء العلماء أبو الطيّب اللغوي الذي لم يصرح في كتابه مراتب النحويين عن ميوله ومذهبه إلا أننا من خلال ما كتبه وعبر ترجمته لأعلام المِصرين نستطيع أن نصل إلى مذهبه وميوله الفكرية.

فإذا تتبعنا تراجم أبي الطيّب نشاهد

أولا وقوفه عند أبي جعفر الرؤاسي التي يبتدئها بقوله عالم أهل الكوفة ثم ينهي قوله هذا بقوله: «وهو مطروح العلم ليس بشيء»[٨٤].

قبل أن نناقش هذا القول لابد لنا أن نبيّن أن أبا الطيّب عند ترجمته لأبي جعفر الرؤاسي لم يُعرِّف باسمه ولا كنيته ولا لقبه، ولم يذكر سنة وفاته وكذلك لم يذكر شيوخه وتلاميذه[٨٥]، وهذا فضلا عن خرق منهج التأليف إلا أنه يضع أيدينا على سبب لا يمكن تبريره إلا بالتعصب المذهبي.

وعودا على قوله السابق فهو يعدّ ضربا للمذهب الكوفي وعلمائه عندما ينعت قمة الهرم عندهم بالجهل؛ لأن الكوفيين جميعهم أخذوا عن أبي جعفر علم النحو[٨٦]، في حين أن الرؤاسي أول من وضع كتابا في النحو وتتلّمذ على يد علماء البصرة من الرعيل الأول أمثال عيسى بن عمر أستاذ الخليل وأبي عمرو بن العلاء، وله مصنفات وكتب في النحو والوقف والابتداء ومعاني القرآن وغيرها[٨٧].

أما في ترجمته للكسائي فنراه ينقل لنا رواية عن ثعلب، قائلا: «أخبرنا ثعلب قال: أجمعوا على أن أكثر الناس كلهم رواية وأوسعهم علما الكسائي»[٨٨]، ويعلّق أبو الطيّب على هذا الحديث بقوله: «وهذا الإجماع الذي ذكره ثعلب إجماعٌ لا يدخل فيه أهل البصرة»[٨٩]، لا شكّ في أن مسألة الإجماع على شيء معيّن أمر في غاية الصعوبة، ولكن هذا لا ينفي ما عداه أي أن يكون الكسائي محل ثقة لدى البصريين، فهذا أبو عبد الرحمن المقرئ يعترف للكسائي بعلميته بقوله: «وكان فصيح اللسان لا يُفطن لكماله، ولا يُخيل إليك أن يُعرِب وهو يعرب»[٩٠]، وأبو عبد الرحمن المقرئ بصري المذهب[٩١]، ولم يقف أمر أبي

الطيّب عند هذا الحدّ بل نجده أكثر حدة مع الكوفيين وتحديدا الكسائي إذ يقول: «لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقرآن ولا كلام العرب، ولولا أن الكسائي دنا من الخلفاء فرفعوا من ذكره لم يكن شيئا، وعلمه مختلط بلا حجج ولا علل، إلا حكايات عن الأعراب مطروحة، لأنه كان يلقنهم ما يريد، وهو على ذلك أعلم الكوفيين بالعربية والقرآن وهو قدوتهم وإليه يرجعون»[٩٢].

وهذه الرواية لا سبيل إلى قبولها لأسباب عدة، أهمها: إن كتب اللغة والتأريخ جميعها تروي لنا أن الكسائي سأل الخليل «من أين أخذت علمك هذا؟ فأجابه: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة فخرج ورجع وقد أنفد خمسة عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ فلم يكن له همٌّ غير البصرة والخليل، فوجد الخليل قد مات وقد جلس في موضعه يونس النحوي، فمرت بينهم مسائل أقرَّ له يونس فيها، وصدره موضعه»[٩٣].

فهذا يعني أن الكسائي أخذ مادته اللغوية من المكان الذي أخذ منه الخليل وسائر البصريين فضلا عن إقرار يونس لمسائله ولا سيما إذا عرفنا أن الكسائي كان يجلس في مجلس يونس وهو يناظره مناظرة النظير[٩٤]، هذا فضلا عن أخذه عن أبي عمرو وعيسى بن عمر[٩٥]، وهو أحد القراء السبعة فكيف يصفه أبو الطيّب بأنه ليس له علم بالقرآن ولا بكلام العرب؟

وهذا الأمر نجده في ترجمة الفراء أيضا عندما ينعته بأنه يأخذ عن غير الثقات مثلما يذكر أن أهل الكوفة يدعون أنه أخذ عن يونس واستكثر منه وأهل البصرة يدفعون ذلك، ولم يذكر لنا دليلا على صحة كلامه هذا. وكذلك يذكر أنه كان كثير التعصب

على سيبويه ويخالفه لأجل التعصب فهو لا يفارق كتاب سيبويه؛ لأنه كان يتعمد تتبع خطأه ولكنته... وفي الوقت نفسه يذكر بأنه كان يخالف الكسائي كثيرا[٩٦]، وهذا يمكن أن نحمله محملا حسنا بأنه كان يخالف أستاذه الكسائي في مسائل علمية فلا ضير إذا حملنا مخالفته لسيبويه على المحمل نفسه وليس المخالفة لأجل التعصب فقط.

وعلى هذا النحو نجده لا يعترف للكوفيين بأدنى فضل، وغالبا ما يصفهم بأنهم غير ثقات أو أنهم أخذوا عن غير الثقات، بل حتى الذي يحاول أن يعترف لهم بفضل ويروي لهم حكايات ترفع من شأنهم فهو يخطئه ويتهمه بأنه أخذ عن غير الثقات كما فعل مع ابن قتيبة الدينوري[٩٧]. وهكذا حتى نراه يتكلم بلسان حادّ وشديد اللهجة عندما يذكر رواية ينسبها إلى أبي حاتم السجستاني، إذ يقول: «فإذا فسَّرت حروف القرآن المختلف فيها، أو حكيت عن العرب شيئا فإنما أحكيه عن الثقات عنهم، مثل أبي زيد والأصمعي وأبي عبيدة ويونس وثقات من فصحاء الأعراب وحملة العلم، ولا ألتفت إلى رواية الكسائي والأحمر والأموي والفراء وغيرهم، وأعوذ بالله من شرهم»[٩٨]. فهو يجعل البصريين وحدهم ثقات وينكر من عداهم وهذا ما يفعله مع الكوفيين جميعا الذين ترجم لهم في كتابه.

ولم يكن هذا الصنيع مع النحاة فقط بل تعرض أيضا إلى ذكر القراء من الكوفيين وترجم لهم وقسا عليهم وفي مقدمتهم حمزة الزيات (١٥٦هـ) الذي قال عنه بأنه إمام عند أهل الكوفة يعظمونه ويقدمونه وأما عند أهل البصرة فلا قدر له، وزعم أنه سأل الأصمعي وأبا زيد والحضرمي

وغيرهم من العلماء عن حمزة الزيات فأجمعوا على أنه لم يكن شيئا ولم يكن يعرف كلام العرب ولا النحو وأنه كان يلحن في القرآن ولا يعقله[٩٩]. ثم يتابع حديثه هذا بقوله: «وإنما أهل الكوفة يكابرون فيه ويباهتون، فقد صيره الجهال من الناس شيئا عظيما بالمكابرة والبهت... وكيف يكون رئيسا وهو لا يعرف الساكن من المتحرك ولا مواضع الوقف والاستئناف ولا مواضع القطع والوصل والهمز! وإنما يحسن مثل هذا أهل البصرة، لأنهم علماء بالعربية قرَّاء رؤساء»[١٠٠].

وهذا هجوم غير مسوّغ، فالمعروف أن حمزة الزيات كان أحد القراء السبعة المشهورين في قراءتهم وشهد لهم العديد من أصحاب المذاهب، إذ كان رجلا صالحا وكانت عنده أحاديث وكان صدوقًا صاحب سُنَّة بل وأُعجب بقراءته أيما إعجاب أبو عمرو بن العلاء[١٠١].

ونحن إذ ننتهي من هذا الحديث لابد لنا من القول: إننا في هذا الموضع لا نريد أن نخطئ أبا الطيّب اللغوي في جميع ما نقله، مثلما لا نريد أن نؤيده في جميع ما قاله، فقد لا يخلو من الهوى والميل الواضح للمذهب البصري ويمكن أن نحمل بعضه على قلة المادة اللغوية التي كان يمتلكها عن الكوفيين، أما بعضها الآخر فقد نلمس فيه ظلما واضحا، ولا نبالغ إن قلنا إنه وضْع على الكوفيين وتعصب بيِّن منه ولعله تنبه على ذلك في نهاية كتابه عندما قال: «تجنب -جنّبك الله كل محذور -أن تحفل منه -أي من الأخبار الواردة في كتابه -بما لا تثبت به رواية، ولا تصح فيه حكاية»[١٠٢]. هذا القول يدلّ على أن هناك روايات ليس لها أساس من الصحة أو دليل نتشبث به في تصديقه.

وفي الوقت نفسه فإن ما قلناه ليس دفاعا عن المذهب الكوفي أو تفضيلا لأحد المذهبين على الآخر، وإنما هو من باب الإنصاف أولا، وتبيان موقفه من الكوفيين ومذهبه البصري الذي ينتمي إليه ويعظمه بل ولا يرى مذهبا آخر غيره ولا علماء غير البصريين عندما قال: «فأما الذين ذكرنا من علماء البصرة فرؤساء علماء معظمون غير مدافعين في المصرين جميعا. ولم يكن بالكوفة ولا في مصر من الأمصار مثل أصغرهم في العلم بالعربية ولو كان لافتخروا به وباهوا بمكانه أهل البلدان وأفرطوا في إعظامه»[١٠٣] ثانياً.

فهذه قسوة طاغية وواضحة يسلق بها الكوفيين وهي خارجة عن الحياد والمنهج العلمي الموضوعي الذي يقوم على المناقشة والموازنة والعرض والتحليل، وهذه القساوة والحدة والعصبية يمكن أن نلتمس لها عذرا قد يبدو مقبولا إلى حدّ ما وهو أن هذه العصبية نابعة من بيئته التي نشأ فيها وترعرع، فقد ذكرنا في أول صفحات البحث أنه نشأ في حلب، وجوُّ حلب مشحون بالخصومات الفكرية بين الأعلام والأدباء كما هو الحال بين المتنبي وأبي فراس الحمداني والمتنبي وابن خالويه والأخير مع أبي الطيّب اللغوي نفسه، هذا فضلا عن الخصومات السياسية والعسكرية بين أبي فراس الحمداني والدمستق قائد الروم، كل هذه الأجواء المشحونة قد تؤثر في طبيعة المرء وأسلوبه ونفسيته في الرواية والكتابة ضد الخصم، ولعل هذا السبب هو الذي جعله يصّب جام غضبه على الكوفيين وعلمائهم[١٠٤].

سابعا: موقفه من المذاهب النحوية الأخرى.

بعد نضوج مدرستي البصرة

والكوفة انتقل العلم إلى بغداد وشاعت الهجرة إليها من باقي مدن العراق كالبصرة والكوفة وواسط والجزيرة وأصبحت ملتقى العلم والأدب ونشأت لها العلوم وازدهرت، وكان الخليفة العباسي هارون الرشيد أول من قرّب الفقهاء والنحاة، ثم زاد عليه ابنه المأمون فكان أكثر اهتماما بتقريب علماء اللغة والنحو[١٠٥].

ولما كانت الكوفة أقرب إلى بغداد من البصرة ولأن أهلها -أعني الكوفة -أقرب إلى العباسيين من أهل البصرة وأسهل انقيادا، جعلت الخلفاء العباسيين يقربون علماء الكوفة ويتخذون منهم حاشيتهم ومؤدبي أبنائهم ومستشاريهم في أمورهم الفقهية والنحوية واللغوية، ونتيجة لهذا التشجيع الذي لاقاه علماء الكوفة من خلفاء الحاضرة الإسلامية انتشر النحو الكوفي وذاع في بغداد وسيطر على مجالس الدرس فيها لسنوات طوال، ومن هنا شب الصراع الشديد بين مدرستي البصرة والكوفة بوصف البصريين حملة النحو البصري ذي الأسبقية والأصالة الذي قامت أصوله وثبتت أركانه وبلغت مرحلة النضج قبل أن تعرفه الكوفة بمائة عام أو يزيد، هذا فضلا عن حادثة الكسائي مع سيبويه المعروفة التي أدّت إلى وفاته ودعت البصريين إلى الهجرة إلى بغداد للانتقام من الكسائي وأخذ الثأر وإذهاب هيبته بين الخلفاء وأصحاب السلطان[١٠٦]، ولعل هذا يؤيد ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن أصل الخلاف النحوي يعود إلى السياسة بسبب ميل العباسيين إلى الكوفيين ومن ثم ضاع حق البصريين بوصفهم أصحاب السبق والتقدّم كما مرَّ[١٠٧].

والذي يعنينا في هذا الجانب بعد هذه المقدمة اليسيرة هو أن هذه

المدرسة فيما بعد -أي بعد إقامة علماء المذهبين فيها -قامت على انتخاب آراء من المدرستين البصرية والكوفية فنشأ جيل من النحاة يحمل آراء المدرستين لأنهم تتلمذوا على يد المبرد البصري وثعلب الكوفي[١٠٨].

ومن هنا اضطرب كتّاب التراجم والطبقات إزاء المذهب البغدادي فمنهم من ترجم لأصحابه على أصلهم في المدرسة البصرية والكوفية كما صنع الزبيدي في طبقاته، ومنهم من جعلهم مستقلين في مدرسة مستقلة كما فعل النديم في فهرسه[١٠٩]، ومنهم من أنكر أساسا وجود مدرسة بغدادية وفي مقدمتهم أبو الطيّب اللغوي في كتاب مراتب النحويين، إذ ذكر أنه لا وجود لعلماء في بغداد وإنما هم أهل الكوفة قدموا إلى بغداد وحدثوا الملوك فقدموهم، ورغب الناس في روايات الكوفيين الشاذة وتفاخروا بالنوادر، وتباهوا بالترخيصات وتركوا الأصول واعتمدوا على الفروع ومن ثم اختلط العلم[١١٠].

وفي حقيقة الأمر أن الكوفيين كان لهم الريادة الأولى في بغداد كما تقدّم ثم تبعهم البصريون بل وصارت بغداد آن ذاك ذات نزعة بصرية قوية في ظلّ وجود الإمامين النحويين الكبيرين أبي علي الفارسي وأبي الفتح ابن جني الذين كانا ينتصران للمذهب البصري وينسبان أنفسهما إليه ويعبران في تصانيفهما كثيرا بقولهم: قال أصحابنا ويريدان البصريين[١١١].

إذن فأبو الطيّب يرفض كون بغداد تشكّل مذهبا مستقلا بنفسه فهي عنده «مدينة مُلك، وليس بمدينة علم وما فيها من علم فمنقول إليها ومجلوب للخلفاء وأتباعهم ورعيتهم»[١١٢]. وبقي هذا الأمر في محل خلاف وأخذٍ

وردٍّ بين الباحثين المعاصرين، ويبدو أن أبا الطيّب اللغوي محقٌّ في هذه المسألة، فبغداد حاضرة إسلامية ومدينة عسكرية ومدينة رئاسة، وقد وصل إليها علم البصريين والكوفيين بعد أن نضج وتدارسه العلماء لذلك نجد مهدي المخزومي ينكر بشدة وجود مدرسة بغدادية مستقلة وإنما هي مدرسة كوفية؛ لذلك يرجح قول ابن جني عندما كان يصف الرأي الكوفي بالبغدادي(١١٣).

أما المدينة المنورة ومكة فقد أنكرهما أبو الطيّب قائلا: «فأما مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فلا نعلم بها إمامًا في العربية. قال الأصمعي: أقمت بالمدينة زمانا ما رأيت بها قصيدة واحدة صحيحة إلَّا مصحفةً أو مصنوعةً»(١١٤). ويذكر بعدها ابن دأب وقال إنه سقط وذهب علمه وخفيت روايته وأتبعه بذكر علي الجمل وقال وضع كتابا في النحو إلا أنه لم يكن شيئا(١١٥).

أما مكة فلم يذكر منها إلا ابن قسطنطين وقال إنه وضع شيئا من النحو ولما قدم البصرة سمع النحو فطرح جميع ما كان عمل من قبل ثم وضع شيئا آخر لا يساوي شيئا أيضا(١١٦).

الخاتمة:-

في خاتمة هذا البحث يمكن أن نلخص أمورا وضعنا أيدينا عليها من خلال هذا الكتاب، نحاول إجمالها بما يلي:

١- يعدّ كتاب مراتب النحويين من الكتب الأصيلة والمراجع المهمة في تراجم النحويين واللغويين، وهو من الكتب الأولى التي وصلت إلينا في القرن الرابع الهجري.

٢- استند أبو الطيّب في تأليف مراتبه إلى فكرة الطبقات الكبرى لابن سعد

وفكرة ابن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعراء.

٣- استوحى أبو الطيّب من ابن سعد وابن سلام منهج الزمان والمكان والشهرة والرواية فقسم مراتبه على هذين المنهجين، وإن كان قد خالفهما في مواضع كثيرة من الكتاب.

٤- اعتمد في رواية أخباره على أساذته أبي عمر الزاهد والصولي وأبي حاتم السجستاني ولم يذكر غيرهم وأحيانا يجعل الراوي مجهولا ولم يأتِ بمصاديق على أقواله وهذا ممّا يبث الشّك في روايته في نفس القارئ.

٥- إن السبب الذي وضع أبو الطيّب كتابه من أجله هو الخلط الحاصل بين أسماء العلماء وعدم معرفة مصنفاتهم، وعندما غادرنا مقدمة الكتاب لم نجده يذكر لنا أسماء كتب لأعلام ترجم لهم إلا نتفا لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة.

٦- وقف أبو الطيّب موقفا متشنجا من مسألة السماع عند الكوفيين وخالفهم في أكثر من موضع فهو لا يرتضي السماع إلا من العرب الذين حدّدهم البصريون في أطلسهم.

٧- وقف أبو الطيّب موقفا شديدا من الكوفيين فقد كان حانقا عليهم شديد الغيظ حاد اللسان لا يعترف لهم بفضل أبدا وجرَّ هذا التعصب حتى على من تتلّمذ على أيادي بصرية.

٨- وقف أبو الطيّب موقف الرفض لمدرسة البغداديين وعدها مدرسة ملك وليست مدرسة علم وهي من شأن الكوفيين ولا علاقة للبصريين بهم.

٩- انجرَّ هذا الرفض إلى علماء المدينة المنورة ومكة وقال: العرب لم تعرف غير هذين المِصرين ويعني البصرة والكوفة.

الهوامش:

١- مراتب النحويين: ١٧.

٢- المصدر نفسه: ١٨.

٣- مراتب النحويين: ٧.

٤- أبو عمر المطرز: هو أبو عمر محمد بن عبد الواحد، يعرف بغلام ثعلب، يعد من أحفظ الرواة أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة لغة، وجميع التي في أيدي الناس إنما أملاها بغير تصنيف، وهو شيخ أبي الطيّب اللغوي، توفي سنة ٣٤٥هـ. ينظر: طبقات النحويين واللغويين: أبو بكر الزبيدي: ٢٠٩، وتاريخ بغداد وذيوله: الخطيب البغدادي: ٣/ ١٦٠.

٥- هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول، أبو بكر الصولي، شيخ أبي الطيّب اللغوي متقن في الآداب ومعرفة الأخبار وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء، وكان واسع الرواية، حسن الحفظ والأدب حاذقا، صنف الكتب ووضع الأشياء منها مواضعها، مات بالبصرة سنة ٣٣٥هـ وقيل ٣٣٦هـ. ينظر: إنباه الرواة عن أنباه النحاة: ٣/ ٢٣٣ -٢٣٦.

٦- ينظر: مراتب النحويين: ٨.

٧- رسائل البلغاء: عني بجمعها محمد كرد علي: ٢١١، وينظر: الوافي بالوفيات للصفدي: ١٩/ ١٧٣.

٨- يريد الفصيح لثعلب ٢٩١هـ، وإصلاح المنطق لابن السكيت ٢٤٤هـ.

٩- الوافي بالوفيات: ١٩/ ١٧٣.

١٠- ينظر: رسالة الغفران: ١٩٢.

١١- ينظر: مراتب النحويين: ٨ والشعر في المصدر نفسه: ٥٠ -٥١.

١٢- ينظر: زبدة الطلب في تاريخ حلب: كمال الدين ابن العديم: ٨٠.

١٣- ينظر: مراتب النحويين: ٩.

١٤- رسالة الغفران: ١٩٢.

١٥- ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: الفيروز آبادي: ١٩٠، وبغية الوعاة: للسيوطي: ٢/ ١٢٠، والأعلام

للزركلي: ٤/ ١٧٦، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة: ٦/ ٢١٠، ومراتب النحويين: ٩.

١٦- رسالة الغفران: ١٩٢.

١٧- ينظر: المزهر: السيوطي: ٣٥١.

١٨- رسالة الغفران: ١٩٢.

١٩- ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: الزَبيدي: ١/ ٧.

٢٠- أبو الطيّب اللغوي الحلبي: مقال لعز الدين التنوخي نشره في مجلة المجمع العلمي العربي: الجزء الثاني من المجلد التاسع والعشرين: ١٨٢ -١٨٣.

٢١- ينظر: علم اللغة العربية: د. محمود فهمي حجازي: ٧٣.

٢٢- ينظر: المصدر نفسه: ٧٤.

٢٣- ذكره صاحب كتاب كشف الظنون بعنوان مراتب النحاة: ينظر: ٢/ ١٦٥٠، وكذلك صاحب كتاب هدية العارفين: ١/ ٦٣٣، وقد انفردا بهذه التسمية دون غيرهما.

٢٤- ألف المبرد ٢٨٥هـ كتابا سماه مراتب النحويين البصريين لكنه مفقود ولم يصل إلينا.

٢٥- ينظر: المزهر: ١/ ١١٨ -١١٩.

٢٦- ينظر: مراتب النحويين: ٧، وعلم اللغة العربية: ٧٤.

٢٧- ينظر: البلغة في أصول النحو واللغة: ٨٨.

٢٨- ينظر: مراتب النحويين: ٧ -٨.

٢٩- ينظر: تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان: ٣/ ٨، ٦/ ١ .

٣٠- ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان: ١/ ٢٧٠ -٢٧١.

٣١- ينظر: ضحى الإسلام: أحمد أمين: ٢/ ٦١٤.

٣٢- ينظر: الفهرست: ابن النديم: ٢٠٩.

٣٣- ينظر: المصدر نفسه: ١٢٧.

٣٤- ينظر: المصدر نفسه: ١٢٩.

٣٥- مراتب النحويين: ٢١.

٣٦- مراتب النحويين: ١١٨.

٣٧- ينظر: مراتب النحويين: ١٠١، وسنناقش هذه المسألة في صفحات لاحقة.

٣٨- طبقات فحول الشعراء: ابن سلام الجمحي: ١/ ٢٤.

٣٩- ذكره ياقوت الحموي باسم محمد بن جعفر ابن باسويه (بالسين) ولم اهتدِ إلى ترجمته ومعرفته. ينظر: معجم الأدباء: ١/ ٢٢٦و ٧/ ٣١٠١.

٤٠- ينظر: مراتب النحويين: ٣٨.

٤١- ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٢/ ٣٤٣.

٤٢- مراتب النحويين: ٣٩.

٤٣- ينظر: المصدر نفسه: ٤٢.

٤٤- المصدر نفسه: ٨٤.

٤٥- ينظر: المصدر نفسه: ٩٠، ٩٢، ٩٥، ٩٨.

٤٦- ينظر: المصدر نفسه: ١٠٥.

٤٧- ينظر: مراتب النحويين: ٤٠ -٤١، ويراجع سنة وفاة الخليل بن أحمد: معجم الأدباء: ٣/ ١٢٦٠، ويونس بن حبيب ذكره المؤلف عند الترجمة بسنة وفاة ١٨٢هـ، وفي وفاة عاصم ينظر: الأعلام: ٣/ ٢٤٨، ومحمد بن محيصن: ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: ٥٢.

٤٨- ينظر: مراتب النحويين: ٣٣ -٣٤، ٤٥.

٤٩- ينظر: مراتب النحويين: ٧٣.

٥٠- ينظر: المصدر نفسه: ١٧.

٥١- ينظر: مراتب النحويين: ٧٨ وما قبلها.

٥٢- وينظر على سبيل المثال: ترجمة أبي عمرو بن العلاء: ٢٧، ويونس بن حبيب: ٣٤.

٥٣- ينظر: مراتب النحويين: ٣٣.

٥٤- ينظر: المصدر نفسه: ٥٩.

٥٥- مراتب النحويين: ١١٩.

٥٦- المصدر نفسه: ١٠١.

٥٧- المصدر نفسه: ١٠٢.

٥٨- ينظر: طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي: ١٢٥.

٥٩- مراتب النحويين: ١٥.

٦٠- مراتب النحويين: ١٥ -١٦.

٦١- ينظر: أخبار المراقسة وأشعارهم: حسن السندوبي: ٢٤٥ -٢٤٧.

٦٢- مراتب النحويين: ١٧ -١٨.

٦٣- طبقات النحويين واللغويين: ١٩٦.

٦٤- تاريخ آداب العرب: للرافعي: ١/ ٣٦٢.

٦٥- ينظر: تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ: ٢/ ٢٠٥ -٢٤٢.

٦٦- مراتب النحويين: ١١٣.

٦٧- المزهر: ٢/ ٤١٢.

٦٨- ينظر: مراتب النحويين: ١٦.

٦٩- أصول التفكير النحوي: علي أبو المكارم: ٣٣.

٧٠- ينظر: الخصائص: ابن جني: ١/ ٣٦١ وما بعدها.

٧١- الدراسات اللغوية عند العرب: محمد حسين آل ياسين: ٣٤٣.

٧٢- المزهر: ١/ ١١٨.

٧٣- ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب: ٣٤٢.

٧٤- ينظر: القياس في النحو: د. منى إلياس: ٨١.

٧٥- ينظر: السماع بين البصريين والكوفيين: مقاربة في المنهج: محمد كنتاوي: مجلة منتدى الأستاذ: العدد١١: ١٤٥.

٧٦- ينظر: المصدر نفسه: ١٤٦.

٧٧- ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب: ٣٤٥ -٣٤٦.

٧٨- ينظر: مراتب النحويين: ٥٩ -٦٠.

٧٩- طبقات فحول الشعراء: ١/ ٢٣.

٨٠- الوافي بالوفيات: ١٣/ ٢١٩.

٨١- ينظر: مراتب النحويين: ٨٦.

٨٢- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني: ٣/ ١٣٥.

٨٣- ينظر: مراتب النحويين: ٨٨، ١٠٨، ١١٢؟

٨٤- مراتب النحويين: ٣٩.

٨٥- ينظر: المصدر نفسه: ٣٩.

٨٦- ينظر: تاريخ العلماء النحويين: للتنوخي: ١٩٤.

٨٧- ينظر: المصدر نفسه: ١٩٤، ونزهة الألباء: ٥٠، ومعجم الأدباء: ٦/ ٢٤٨٧-٢٤٨٨.

٨٨- مراتب النحويين: ٨٩.

٨٩- مراتب النحويين: ٨٩.

٩٠- طبقات النحويين واللغويين: ١٢٩.

٩١- ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: ٦/ ٤٣.

٩٢- مراتب النحويين: ٨٩.

٩٣- تاريخ بغداد: ١٣/ ٣٤٥.

٩٤- ينظر: طبقات النحويين واللغويين: ١٢٧.

٩٥- ينظر: تاريخ العلماء النحويين: ١٩٠-١٩١.

٩٦- ينظر: مراتب النحويين: ١٠٦.

٩٧- ينظر: مراتب النحويين: ١٠١.

٩٨- المصدر نفسه: ١٠٨.

٩٩- ينظر: المصدر نفسه: ٤٤.

١٠٠- المصدر نفسه: ٤٤.

١٠١- ينظر: وفيات الأعيان: ٢/ ٢١٦، وينظر: الطبقات الكبرى: ٦/ ٣٨٥، والجرح والتعديل لأبي حاتم: ٣/ ٢١٠، وقراءة حمزة لسورة يوسف على أبي عمرو بن العلاء: تاريخ دمشق: ابن عساكر: ٦٧/ ١٠٧.

١٠٢- مراتب النحويين: ١٢٦.

١٠٣- المصدر نفسه: ٤٢-٤٣.

١٠٤- ذهب بعض الباحثين إلى أن السبب في ذلك سياسي.

١٠٥- ينظر: المدارس النحوية: خديجة الحديثي: ٢٧٣-٢٧٥.

١٠٦- ينظر: المدارس النحوية: ٢٧٦-٢٧٧.

١٠٧- ينظر: من تاريخ النحو العربي: سعيد الأفغاني: ٨٠.

١٠٨- ينظر: المدارس النحوية: شوقي ضيف: ٢٤٥.

١٠٩- ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٥.

١١٠- ينظر: مراتب النحويين: ١٠٩.

١١١- ينظر: المدارس النحوية: ٢٤٥، ٢٧٦.

١١٢- مراتب النحويين: ١٢٥.

١١٣- ينظر: الدرس النحوي في بغداد: مهدي المخزومي: ٢٢٤ -٢٤٧، وينظر: المدارس النحوية: شوقي ضيف: ٢٤٥.

١١٤- مراتب النحويين: ١٢٠.

١١٥- ينظر: المصدر نفسه: ١٢١ -١٢٣.

١١٦- ينظر: المصدر نفسه: ١٢٤.

المصادر والمراجع:-

١. أبو الطيّب اللغوي الحلبي: مقال لعز الدين التنوخي نشره فشي مجلة المجمع العلمي العربي: الجزء الثاني من المجلد التاسع والعشرين: ١٨٢ -١٨٣.

٢. أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الاسلام: حسن السندوبي، راجعها وشرحها اسامة صلاح الدين، ط١، دار إحياء العلوم، بيروت -لبنان، ١٩٩٠م.

٣. أصول التفكير النحوي: د. علي أبو المكارم، ط١، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٤. الأعلام: خير الدين الزركلي، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت -لبنان، ٢٠٠٢.

٥. الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ)، تحقيق: سمير جابر، ط٢، دار الفكر -بيروت، د.ت.

٦. إنباه الرواة عن أنباه النحاة: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية -بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢م.

٧. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان -صيدا.

٨. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: الفيروز آبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت ٨١٧هـ)، ط١، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

٩. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د. ت.

١٠. تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي، د.ت.

١١. تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٢.

١٢. تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ: ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م.

١٣. تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، نقله الى العربية د.عبد الحليم النجار، ط٣، دار المعارف بمصر.

١٤. تاريخ بغداد وذيوله: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية -بيروت، ١٤١٧هـ.

١٥. تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.

١٦. تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم: أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (ت٤٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ١٩٩٢.

١٧. الجرح والتعديل: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٢م.

١٨. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، ط٢، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت -لبنان .

١٩. الدراسات اللغوية عند العرب الى نهاية القرن الثالث: محمد حسين آل

ياسين، ط١، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت -لبنان، ١٩٨٠م.

٢٠. الدرس النحوي في بغداد: د. مهدي المخزومي، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت -لبنان، ١٩٨٧م.

٢١. رسائل البلغاء: عني بجمعها محمد كرد علي: دار الكتب العربية الكبرى، ط٢، ١٩١٣م.

٢٢. رسالة الغفران: ابو العلاء المعري، تحقيق: كامل كيلاني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مطبعة المكتبة التجارية، ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م.

٢٣. زبدة الطلب في تاريخ حلب: كمال الدين ابو القاسم عمر بن احمد ابن العديم الحلبي الحنفي (ت٦٦٠هـ): وضع حواشيه خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ١٩٩٦م.

٢٤. السماع بين البصريين والكوفيين: مقاربة في المنهج: محمد كنتاوي: مجلة منتدى الأستاذ: العدد١١، نوفمبر ٢٠١١ .

٢٥. ضحى الإسلام: أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٢.

٢٦. طبقات فحول الشعراء: أبو عبد الله محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء (المتوفى: ٢٣٢هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة.

٢٧. طبقات النحويين واللغويين: أبو بكر الزبيدي: أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، (ت٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف.

٢٨. الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية -بيروت، ١٩٩٠م.

٢٩. علم اللغة العربية: د. محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر

والتوزيع، د.ت.

٣٠. الفهرست: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي ابن النديم (ت٤٣٨هـ)، تحقيق: ابراهيم رمضان، ط٢، دار المعرفة بيروت -لبنان، ١٩٩٧م.

٣١. القياس في النحو: د. منى إلياس: ط١، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ١٩٨٥م.

٣٢. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، مكتبة المثنى -بغداد، ١٩٤١م.

٣٣. مراتب النحويين: أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت٣٥١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، شركة ابناء شريف الانصاري للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة العصرية، صيدا -بيروت، ٢٠٠٩م.

٣٤. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط١، دار الكتب العلمية -بيروت، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م

٣٥. المدارس النحوية: د. خديجة الحديثي، ط٣، دار الامل للنشر والتوزيع، اربد -الاردن، ٢٠٠١م.

٣٦. المدارس النحوية: د. شوقي ضيف، ط٧، دار المعارف، القاهرة، د.ت

٣٧. معجم الأدباء: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.

٣٨. معجم المؤلفين عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (ت ١٤٠٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، مكتبة المثنى -بيروت، د.ت

٣٩. معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

٤٠. من تاريخ النحو العربي: سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت ١٤١٧هـ)، مكتبة الفلاح، د.ت

٤١. نزهة الألباء في طبقات الأدباء: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار، الزرقاء -الأردن، ١٩٨٥م.

٤٢. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت١٣٩٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١.

٤٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت٦٨١هـ)، تحقيق: احسان عباس، دار صادر -بيروت، ١٩٠٠م.

٤٤. الوافي بالوفيات للصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث -بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م